

أربعة عشر: أهم المعالم السياحية في العراق:

أ- المعالم السياحية في المنطقة الوسطى:

أ- المعالم الحضارية والثقافية:

قبل الدخول الى مضمون المعالم الحضارية والثقافية العراقية، لابد لنا من التطرق إلى تعريف مصطلح الحضارة والموروث الثقافي ونوع السياحة التي تهتم بهذا المجال ألا وهي السياحة الثقافية كالاتي:
الحضارة لغةً: من الحضور، والحضور نقيض المغيب، وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار، والتحضر هي عكس البداوة.

اما الحضارة اصطلاحاً: هي ثمرة كل جهد يقوم به الانسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول الى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود، سواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية، وهذا المفهوم للحضارة مرتبط أشد الارتباط بالتاريخ، إذ أن التاريخ كما سنرى هو الزمن، والثمرات الحضارية التي ذكرناها تحتاج إلى زمن لكي تظهر، أي أنها جزء من التاريخ أو نتاج جانبي للتاريخ، مثلها مثل ثمر الزرع والأشجار لا يظهر إلا بفعل الزمن. إذ لا يمكن ان تزرع وتحصد ثمرة ما في نفس الوقت، وبذلك فإن ثمار الحضارة لا تظهر الا بإضافة الزمن إلى جهد الانسان.

مفهوم الموروث الثقافي:

ان موروث اي أمة هو رصيدها الباقي وذخيرتها الثابتة، ومدخراتها المعبرة عن مدى ما كانت عليه من تقدم في كل مجالات الحضارة والثقافة، بل هو الحافز الأول والدافع القوي لتتبع خطوات الأقدمين في نشاطهم وثقافتهم وأداء واجبهم، ولم تتقدم أمة ولم تنهض دولة ولم يخطو شعب خطوات الا بالاعتماد اولاً، على احياء التراث ونفض الغبار عنه، فهو الأصل الذي يستند عليه لبناء الحاضر مع اضافات العصر، وهو المثل الذي يحتذى به في بناء جيل جديد ورسم المستقبل. فالأمة في حاضرها هي حصيلة تطورها عبر العصور بحيث يتراكم في شخصيتها نسيج الماضي المكون من المؤثرات الثقافية المختلفة التي توالى عليها فشكلت هويتها المتميزة حاضراً.

وغالباً ما يتجسد الموروث من خلال النتاجات الفكرية والمادية للحضارات السابقة، حيث الارتباط والتواصل بين الماضي والحاضر، بمعنى ان الموروث الحضاري يلعب دوراً بارزاً في تطور المجتمعات نحو المستقبل من خلال العلاقة الجدلية معها فتحفز على الإبداع والتجديد بما يتلاءم مع متطلبات العصر دون الوقوف عند الماضي. وللموروث العربي أثر وتأثر بحضارات غيره من الأمم والشعوب قديماً وحديثاً كغيره من الموروثات، وزاد في اغتصابه تطور صلات التأثير والترجمة والتبادل المباشر بين تلك الحضارات وبين الحضارة العربية. وما نستنتجه من هذا المفهوم هو ان الموروث هو حصيلة تلك التأثيرات بين الحضارات التي تحفظ استمرارها.

وهنا لابد لنا من ان نفرق بشكل واضح بين التراث او الموروث وبين الميراث من الجانب الاصطلاحي، وان نكون قادرين على تقديم الفهم الكامل ازاء كلمة التراث وعلاقته بذلك الموروث الإسلامي الأصيل، وان نكون قادرين دائماً على التفرقة بين الإسلام باعتباره ديناً ومنهج حياة له ثباته وربانيته وقديسيته الممثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وبين الموروث الذي هو اجتهاد المسلمين في تفصيل هذا الميراث وتعميقه والاستجابة له من خلال العصور والظروف والأحداث والبيئات اي ان القرآن الكريم لا يُعد جزءاً من الموروث لان الموروث هو نتاج بشري والقران الكريم هو كلام كتاب منزل من الله سبحانه وتعالى على الناس.

وشهد مصطلح "الموروث الثقافي" تطوراً كبيراً في العقود الأخيرة؛ ففي حين كان مصطلح الموروث الثقافي فيما مضى، يشير حصراً إلى المعالم المتبقية من الحضارات، فقد تحول تدريجياً ليشمل فئات جديدة وليسלט الضوء بشكل خاص على الموروث الثقافي غير المادي.

ويؤكد الموروث الثقافي إلى حد كبير مفهوم الهوية الحضارية والثقافية لدى كل أمة وبالخصوص بلدنا الحبيب العراق في عصرنا الراهن، وهو بهذه الصفة يحمل الشرعية الانسانية والفكرية والحسية وآفاق الإبداع الثقافي في المجتمع العراقي. كونه أرتاً مرثياً ومعاشاً يحيط بكل جوانب حياتنا وذاكرتنا وأرواحنا. وتُعبّر الهوية في معناها الفلسفي عن الأصالة والصفات الأساسية التي تصنع وتميز أمة ما وفرادتها. ومن خلالها نتعرف على أنفسنا وعلى الآخرين. ودليلنا في ذلك ما تختزنه الهوية من خصوصيات تحدد الاختلاف.

إذ أن الهوية تشكل مطلباً مهماً وجانباً أساسياً في حياة المجتمع إذ تحتل المرتبة الرئيسية في لائحة مطلب الشعوب والجماعات في المجتمع العصور وهذا الاهتمام " ليس اهتماماً فردياً محدوداً بل جماعياً وعلى نطاق واسع، ولا يخص الحاضر والعمارة فقط وإنما له عمق فكري وتاريخي، وليس وليد اللحظة".

وعندما يدرك الانسان معنى انتمائه ويعي أهميته الجوهرية، يستطيع عند ذلك ان يعرف ما هو ومن هو، ولماذا هو هنا وانه يصلح لشيء ما، ولأي شيء يصلح، وعن حاجة الانتماء هذه، يتولد مفهوم الهوية الذي يمكنه ان يرتدي أشكالاً متعددة ومختلفة وغالباً مترادفة، ولا تكون الهوية عنصراً كمالياً يتمتع به الانسان في حال توفره، بل هي دائماً منطلق لأفعاله وهدف له. وأنها مبرر لوجوده الجماعي".

والموروث ليس هو الماضي بكل ما حفل به من تطورات في المجالات جميعاً، وما شهدته من أحداث تعاقبت عبر العصور فحسب، ولكنه الحاضر بكل تحولاته والمستقبل بكل احتمالاته، فالموروث يمتد في حياتنا وينتقل معنا إلى المستقبل، فهو جزء منا لا نستطيع الفكك منه، والموروث بذلك سمة أصيلة من سمات الهوية، به تكتمل عناصرها وبصبغته تصطبغ، وهو للمجتمعات الانسانية يمثل العمود الفقري لخصوصيتها الروحية ولمكوناتها الثقافية ولسماتها الحضارية.

وهناك عدة عوامل تسهم في تشكيل الموروث الثقافي لعل أهمها الآتي:

- 1- عوامل ثابتة: وتتجسد في التأثيرات الطبيعية والمناخية المختلفة ونوعية مواد البناء المتاحة حينها.
- 2- عوامل متغيرة: وتتجسد في الحالة الاقتصادية والاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والفنية التي يتميز فيها المجتمع في مرحلة تاريخية معينة.

ويمكن تعريف الموروث الثقافي كالآتي:

"العناصر الأساسية للحضارة الانسانية والثقافة الوطنية وان انجاز اي حضارة تعرف من خلال الآثار الدالة عليها والتي تعبر عن تاريخها وتحكي قصصها وأفعالها. وتمثل الرصيد الدائم من التجارب والخبرات والمواقف التي تعطي الانسان والمجتمع القدرة على ان يواجه الحاضر، ويتصور المستقبل بوصفها من اهم مكونات الذاكرة البشرية الممتدة إلى أعماق جذور مكوناتها".

أو إنه "مجموع العلوم والآداب والأبنية والعادات والتقاليد والطقوس الدينية والفنون، التي تتوارثها الأجيال أبا عن جد، وهو يشكل هوية الافراد والجماعات والشعوب والأمم، وهو لصيق بها وملزم لها عبر الزمان والمكان، وهو الحصن المنيع لكيان الشعوب، يحفظ بقائها واستمراريتها بالنسبة للأجيال اللاحقة باعتباره ميراثاً وغرساً يتمتع بخاصية الانتقال من جيل إلى آخر، ويبقى راسخاً في الشعور الجمعي والذاكرة الجماعية".

السياحة الثقافية: تعد السياحة الثقافية سياحة لا تنضب، باعتبارها المقوم السياحي غير المتكرر وغير قابل للمنافسة، لأنها تركز على الموروث الثقافي والحضاري والتاريخي إذ ان الباعث الاساسي لها هو زيارة المواقع الاثرية والمعالم التاريخية والمتاحف والتعرف على الصناعات التقليدية او اي شكل من اشكال التعبير الفني فضلاً عن زيارة المعارض والمهرجانات كما لم تعد مقتصرة على هذا فحسب وإنما ادخلت عليها عناصر جديدة باستحداث مناسبات واستغلال ظروف معينة بما يحقق تنويع المنتج السياحي لجذب شرائح جديدة من السائحين والزوار، وهي ذات حركة ديناميكية

ترتبط بالجوانب الثقافية والحضارية للإنسان فضلاً عن انها بمثابة جسر للتواصل بين الثقافات والمعارف الانسانية للأمم والشعوب ومحصلة طبيعية لتطور المجتمعات السياحية عبر مختلف العصور .
ولعل أهم المعالم الحضارية والثقافية العراقية في المنطقة الوسطى الآتي:

1- الزقورات:

تعد الزقورة إحدى النتاجات المعمارية لحضارة وادي الرافدين وولدت الكثير من الاسئلة على مدى العصور من حيث البحث والدراسة لمحاولة الكشف عن أسباب نشأت هذه الصرح المعماري والكشف عن أسرارها وعلى الرغم من وجود الكثير من الدراسات والابحاث التي اقيمت حول هذا الموضوع لكنها لم تتوصل الى تفسير نهائي يجيب بشكل قاطع عن هذه الاسئلة.

وقد سبق ظهور الزقورات مراحل من تطور عمارة المعابد المقامة على مصاطب اصطناعية حيث ظهرت اولى تلك المصاطب ببلاد سومر وشاعت فيما بعد عند مختلف البقاع اذ ان المعبد العالي او البرج المدرج الذي يسمى بالبابلية Ziquratu (الزقورة) تعني العلو والسمو، والزقورة هي ظاهرة معمارية ملازمة للمعبد الارضي بالمدن الرئيسية، وأن فكرة انشاء الزقورة كانت بالأصل من إقامة المعابد بأطوارها الاولى فوق دكة او مصطبة اصطناعية مرتفعة عن الأرض التي تحيط بها اذ أشارت المصادر التاريخية بأن أولى بوادر بناء الزقورات كانت بالعصر الشبيه بالتاريخي فقد كانت زقورة معبد (آنو) بمدينة الوركاء الذي شيد على مصطبة او دكة عالية وبني فوقها المعبد الابيض حيث أقيم هذا المعبد على مصطبة عالية أو دكة واطلق عليها زقورة آنو وأن هذه الدكاك تدل على تطور عمارة المعابد بمجالين أولهما التوجه نحو تأسيس أبنية متميزة بارزة للمعابد، وثانيهما التوجه نحو رفع أبنية المعابد الدينية الى علو يجعلها بمستوى يختلف عن مستوى بقية أبنية المدينة، وعلى مر العصور أصبحت الزقورة تتألف من ثلاث او سبع طبقات واما تكون مربعة الشكل أو مستطيلة الشكل، ويرقى اليها بواسطة سلالم جانبية تمتد بين طبقة وأخرى، حيث استمرت عمارة المعابد بالتطور خلال دور أوروك بطوره القديم، وأصبحت خصائصها أكثر وضوحاً بالعصر الشبيه بالتاريخي، وعصر فجر السلالات الاول (3200-2800 ق.م) حيث يمثل عصر فجر السلالات مرحلة انتقالية لعمارة المعابد من فترة الدكاك البسيطة التي كانت موجودة بعصر دور العبيد وطور أوروك القديم الى فترة ظهور الزقورات وبالأخص خلال عصر فجر السلالات الثاني والثالث (2800-2370 ق.م) فتعدّ الزقورة من المعالم الواضحة لجميع المدن العراقية رغم تعاقب الازمان والعصور ومهما فعل الزمن والانسان من قساوة بتغيير معالمها، لكن ما زال البعض منها بحالة جيدة الا انها اصبحت بحالة منعزلة ومكان بعيد وطمرتها الرمال.

أسباب بناء الزقورات في حضارة بلاد الرافدين:

الزقورة هي احدى أهم مميزات العمارة لحضارة وادي الرافدين وتعد سمة بارزة، وقد طرحت الكثير من الآراء من قبل الباحثين حول سبب بناء هذه الزقورة وتطورها لتصبح سبع طبقات بعد ما كانت ثلاث طبقات وتطور فن العمارة ويحلون لنا الان التساؤل: ما هو الهدف الذي كان وراء تشييد مثل هذه الهياكل او الابراج ؟

استند بعض الباحثين الى ان الزقورة تمثل الجبل الكوني أو قبر الإله الذي يموت ويعود الى الحياة الثانية، والرأي الاخر يقول ان الزقورة منبجاً على أساس وصف سفر حزقيال لمذبح، كزقورة صغيرة، وكان هنالك رأي بأن الزقورة هي عبارة عن مرصد فلكية استعملت لرصد حركات النجوم فقد استنتج هذا الرأي من شهرة العراقيين القدامى بعلم الفلك وايضاً ترجع الى اهتمام سكان بلاد الرافدين بالأمور الدينية والدنيوية وقد استخدموا بحساباتهم التقويم القمري فكانت رؤية الهلال من يومه الاول يعتمد عليه بهذه الامور لذلك برزت الحاجة الضرورية الى اماكن مرتفعة لخدمة هذه الحاجة ولكن أعمال المراقبة والرصد الفلكية كانت تتم أيضاً بمدن أخرى وهي لا توجد بها أبنية الزقورات، فقد استعملت أدوات أخرى بعملية الارصاد الفلكية لرصد الكواكب والنجوم والظواهر السماوية وقياس الزمن والوقت وطوله، مثل الإسطرلاب والساعة الشمسية والساعة المائية والقطب المغناطيسي (البول)، يمكننا القول بأن وظيفة الزقورة للمراقبة

والرصد الفلكي جاءت بعد ان أصبحت الزقورة بناء ذو ارتفاع شاهق فظهرت فكرة المراقبة الفلكية كوظيفة من وظائف الزقورة وليس سبباً رئيساً من أسباب بنائها والدليل على ذلك أنها لم تبنى من أول مرة بطبقات متعددة بل كانت ببنائها على دكة بسيطة ومن ثم تطورت خلال عصر سلالة أور الثالثة لتصبح ثلاث طبقات وخلال العصور المتعاقبة أصبحت متعددة الطبقات وصولاً الى سبعة طبقات .

وهناك ن يرى سبب بناء الزقورة كان مجيء اقوام جبلية وهم السومريين واستوطنوا بسهول بلاد الرافدين اقاموا هذه الزقورات بسبب تأثرهم ببيئتهم الاولى التي كانوا يقيمون المعابد فيها وهي الجبال العالية، لكن هذا الرأي قد فقد دقته والسبب بأنه لا يوجد دليل قاطع على ان أصل السومريون هم أقوام جبلية وأن مجمع الاله السومري كانت تحمل صفات ومؤثرات بيئية خاصة ببلاد الرافدين وهنالك باحثين يرون أن الزقورة ترمز للسمو والعلو فأن هذا الاسم الذي أطلق على المباني يقصد به السمو والرفعة.

وقد أثبت علم الآثار الحديث ان سكان وادي الرافدين بالألف الرابع كانوا يقيمون بعض من هياكلهم على شرفة عالية، والتفسير العقلاني لهذه الخصيصة المعمارية يفترض ان العراقيين القدامى كان همهم ان يحفظوا مساكن آلهتهم (والهيكل هو دار الاله، كما القصر دار الملك) من اجتياح الفيضانات المتكررة بالقسم الاسفل من وادي الرافدين وايضاً حمايته من عبث الدخلاء من غير الكهنة، وهذا الرأي يخالف بداية نشأة الزقورة إذ كانت عبارة عن دكة بسيطة ومن ثم تطورت خلال العصور.

زقورة عقرقوف:

التسمية :

أطلق اسم عقرقوف منذ القدم على هذا الموقع وقد عُين بوجه صحيح منذ منتصف القرن الماضي أن هذا الموقع هو المدينة الكشية المعروفة باسم (دور- كوريغالزو). وكانت تسمى عقرقوف في عصور الدولة الكشية باسم (دور- كوريغالزو) وقد سماها الآراميون (عقرقوف)، وقيل أن عقرقوف هو عقر أضيف إليه مقطع آخر فصار مركباً مثل حضرموت وبعلبك. وتعني (دور- كوريغالزو) مدينة أو حصن (كوريغالزو). حيث قام الملوك الكاشيون ببناء هذه المدينة لتكون عاصمة جديدة لهم وأنتقلوا إليها في أوائل القرن الخامس عشر ق.م .

الزقورة (الصرح المدرج):

تتألف معابد (دور- كوريغالزو) كما هو الحال في المدن القديمة المهمة من وحدتين أو مجموعتين متميزتين ولكنهما متكاملتين: الأولى المعبد العالي أي الصرح المدرج وما يتبعه من سور مقدس ومرافق داخل هذا السور والثانية تضم مجموعة المعابد الأخرى التي يصح أن نطلق عليها اسم (المعابد الأرضية)، يبلغ ارتفاع الزقورة الحالي (57) متراً عن سطح الأرض أنظر الصورة:



صورة تبين الارتفاع الحالي للزقورة

أما ارتفاعها الأصلي فكان (78) متراً استخدم الكاشيون بعض الطرق الخاصة في جودة بناء الزقورة ومن ذلك طبقات من (البواري) (حصر القصب) الموضوعة في البناء بين كل (8) أو (9) سافات من اللبن كما يشاهد حبالاً كبيرة مظفورة من القصب تنفذ في داخل البناء مما أدى إلى ثبات البناء ومقاومته للزمن وصلادته حتى أيامنا هذه. وتوجد في الزقورة أيضاً خروقاً أو ثقباً مستطيلة المقطع تقريباً وأبعادها 14×25 سم و 15×27 سم وتنفذ من جهة لأخرى ومتسقة على عرض البناء ويختلف عددها في كل طلعة ودخلة وفي كل صف ولا تتقاطع مع معاكستها في الاتجاه وعملت على شكل شبكة وربما كان يجري الهواء فيها ويجف المياح التي كانت تسقط على البناء أو تخرق طبقاته أو ربما كانت فائدتها أنية عند البناء فقط وذلك لتجفيف مادة البناء (الطين) عند بناء اللبن. انظر الصورة.



صورة توضح الثقوب والخروق الموجودة في الزقورة

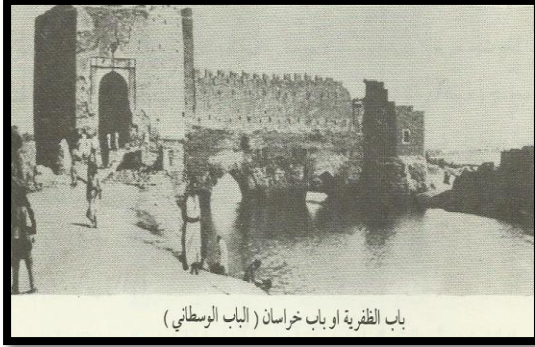
إن القاعدة السفلى للزقورة مربعة تقريباً (67×69) متراً مربعاً وتوجه زواياها إلى الجهات الأربع الأصلية وتميل أوجهها الأربعة إلى الداخل إذ أنها تميل بمقدار 9 سم عن الاتجاه العمودي لكل متر من الارتفاع وتتألف الأوجه الأربعة من طلعات ودخلات كما هو المألوف في الصروح المدرجة الأخرى، وتم العثور في منتصف الضلع الجنوبي الشرقي على آثار سلالم مؤلفة من ثلاثة أقسام قسم وسطي وسلمان جانبيين يتصلان به وتؤدي هذه السلالم الثلاثة وسلالم أخرى في الطبقات الأخرى إلى قمة الزقورة حيث جرت العادة أنهم يقيمون معبداً صغيراً للعبادة، أما الواجهة الخارجية للزقورة فهي مغلقة بغلاف أجري له دخلات وطلعات وهي عبارة عن حليات معمارية تزين واجهات هذا البرج وتعطيه الحركة والقوة وربما لها طابع ديني خاص. انظر الصورة .



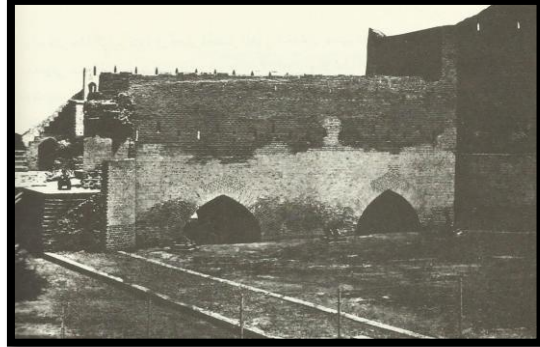
صورة تبين الطلعات والدخلات في واجهة الزقورة

2- باب الظفرية أو باب خراسان أو الباب الوسطاني:

وهو أقدم مثال قائم في بغداد للمداخل التي ترجع إلى هذه الحقبة الزمنية، ويقع قرب ضريح الشيخ عمر السهروردي في المحلة التي كانت تعرف في التاريخ باسم (الظفرية) نسبة إلى (ظفر) أحد مماليك دار الخلافة العباسية. وكان هذا الباب يُعرف أحياناً (بباب خراسان) حيث يخرج منه طريق يؤدي إلى هذا الإقليم. ويسمى الآن بـ (الباب الوسطاني) لتوسطه جدار هذا السور.



باب الظفرية أو باب خراسان (الباب الوسطاني)

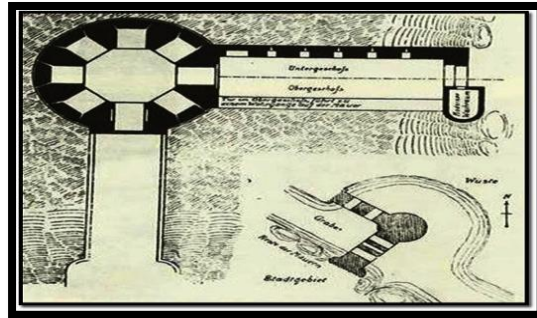


خندق الباب الوسطاني

ويتكون هذا الباب من برج إسطواني الشكل تقريبا بني بالآجر والجص يبلغ ارتفاعه حوالي 14,5م ومحيطه عند قاعدته 56م تقريبا وللبرج بابان أحدهما من الجهة الشمالية الغربية يعلوه عقد مدبب منفرج الزاوية وأمامه قنطرة من عقدين فوق الخندق الذي قبض بالسور لعبور الداخلين إلى المدينة والخارجين منها.



الباب الوسطاني



الباب الوسطاني

والباب الثاني يقع في الجهة الجنوبية الغربية من البرج يؤدي إلى قنطرة فوق الخندق أيضا على كل من جانبيها جدار فيه مزاغل دفاعية لصد هجمات من يحاول اقتحام الباب. أما من داخل البرج فيتكون من غرفة مئمنة تعلوها قبة قليلة التحدب في كل ضلع منها تجويف عمقه حوالي 2,5م فتح في بعضها مزاغل وفي اثنين منها فتح باب البرج.

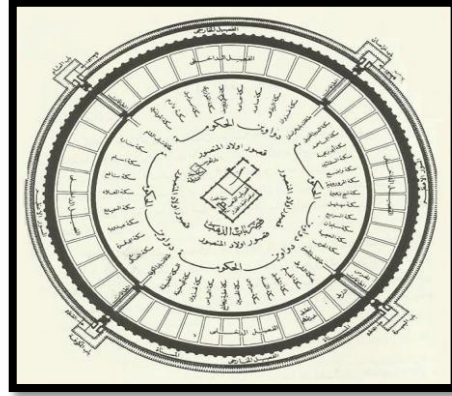


ويمتاز هذا المدخل كذلك بواجهته المزخرفة المطلة على داخل المدينة، ووجود شريط زخرفي من الكتابات التذكارية المحيطة بالبرج من الأعلى، تتكون الزخارف من أشكال هندسية قوامها نجوم متنوعة بعضها كبيرة متعددة الرؤوس، وبعضها الآخر أصغر حجماً وأقل عدداً في رؤوسها، وبين هذه الأشكال الهندسية البديعة التكوين مضلعات تتصل بالنجوم وتدور حولها، وقد أضفى الفنان جمالا على هذه الأشكال بأن زين بواطنها بزخارف نباتية قوامها أغصان وفروع متشابكة تظهر في معظم الأحيان مضفورة، تolf أزهاراً وأوراداً مُفصصة. ويوجد على كل جانب من جانبي المدخل شكل أسد بحجم صغير منحوت بصورة بارزة قليلاً، ويتكون من تلاحق عدة قطع من الأجر، ويحيط بالزخارف المذكورة شريط زخرفي يشبه السلة.

لقد أستعمل في بناء هذا الباب وزخرفته الأجر كمادة أساسية ثبتت قوة مقاومتها طيلة القرون الماضية، وأن الزخارف الأجرية التي تزين هذا الباب توضح لنا مقدار عناية العباسيين بها واستعمالها حتى على تلك الأبنية العسكرية.



الباب الوسطاني أو (باب الظفيرة)



بغداد... دار السلام

3- المدرسة المستنصرية:

أ- تأسيس المدرسة المستنصرية العباسية:

تم تأسيس المدرسة بأمر من الخليفة العباسي السادس والثلاثين أبو جعفر المنصور المشهور بالمستنصر بالله وهو ابن الظاهر بالله محمد ابن الخليفة الناصر لدين الله. ولد سنة 588 هـ (1192) م. وقد بويغ له بالخلافة يوم وفاة أبيه، الجمعة الثالث عشر من رجب سنة 623 هـ (1226) م. ودامت خلافته حتى وفاته في يوم الجمعة العاشر من جمادى الآخرة سنة 640 هـ (1242) م. وذلك عن (51) أو (52) عاماً وقد دُفن أول وفاته في الدار المثمنة من دار الخلافة بالجانب الشرقي من بغداد، ثم نقل إلى تربة العباسيين في أعلى الرصافة، ودفن تحت قبة، كان اتخذها لنفسه مدفناً، بلصق محلة أبي حنيفة.



واجهة المدرسة المستنصرية



المدرسة المستنصرية